



تذكرت جدي عندما كنا نتحولق حولها كل ليله عقب أدائها لصلاة العشاء، كانت تمسك بسبحتها الألفية، وجلس على عليتها ونار المدفأة تتوسط جلستنا، وتبدأ بسرد حكاياتها لنا التي كانت تعوضنا عن تشغيل التلفاز، وكنا نستمع لها ونحن مشدوهين مشدوهين الأعصاب تمر بمخيلتنا صور الشخصيات التي تتكلم عنها جدي؛ فمن حكاية الغول الذي أكل الغلام حين عصى كلام والده، إلى حكاية حورية البحر التي لها نصف جسد بنت جميله وأنها ملك ونصف جسد سمه تظهر للشاطر حسن تحقق له كل أمنيه وتخفي، إلى حكاية المارد والحسناه.. وقد تختتمها لنا برواية السندريلا التي تتزوج الأمير ويعيشون بثبات ونبات ويخلفون لنا صبيان وبنات.

حكايات من نسج الخيال تحاكي الأحلام من عالم الخرافات، لكنها تنتهي بمعنى وعبره تفيد أولي الألباب. رحم الله جدي التي ماتت قبل انتشار الأطباق اللاقطة، وقبل ثورة الاتصالات الفضائية وعالم شبكة التواصل الاجتماعية التي يجعل عالم الخرافات أقل تواجد بين أبنائنا. فلو سردت قصة الغول لأبني لسخر مني وأجابني بما لا يسر خاطري إلا أن النظام الأمني السوري، والذي يسيطر على كل القطاعات بما فيها الإعلام والفضاء أبي إلا أن يعيينا إلى عالم حكايات الجدات والخيال والخرافات.

فمنذ انطلاق الاحتجاجات بالشارع السوري ورفع هتافات الحرية؛ بدأ النظام الأمني السوري بتسويق روايات وحكايات تحاكي عالم الخيال والخ Reeves، فمن مندسین إلى سلفيين إلى عملاء، فجراثيم وآخر ما توصل إليه الإعلام هي رواية المسلمين، فهل هذه الروايات عبارة عن تطور النمو بحسب رؤية النظام الأمني وإعلامه، أم هي كما حكاية المارد الذي عاش في غياب المصباح آلاف السنين وخرج بصدفة عجيبة دون أن يستأند من سيدنا سليمان؟ إن رواية المسلمين الذين دخلوا سوريا من جنوبها لشمالها ومن شرقها لغربها ويعيشون في الأرض فساداً يتنقلون من واد لواد ومن مدينة إلى أخرى، يقتلون ويذبحون ويحرقون ويفسدون ويستبيحون الأموال والأعراض؛ جعلت عيناي ترنوا إلى لبنان الشقيق، وبالتحديد إلى (منطقة النهر البارد)!! ولا غرابة هنا، فكلي رجاء أن تتسع لكلماتي صدوركم لتعرفوا مغزى المقارنة.

لبنان بطوابقه ومذاهبه ومكوناته السياسية المختلفة، والذي يتسم بتركيبة سياسية معقدة، فتداول السلاح بالبنان كتداول العملات، واللبنانيون يمتهنون السياسة كما يأكلون ويشربون، ورغم كل هذا ورغم أن لبنان عاش تحت القمع السوري

(1) هذا من باب المبالغة في التعبير، الذي يصور فيه الكاتب الحالة التي وصل إليها النظام السوري. وإن فمهما بلغ النظام السوري من قوة في التجسس على مواطنه، وتتبع آثارهم وأخبارهم، يبقى محدود بصفات بشرية، وبقدرات ذاتية، لا تصل به الحد الذي ذكره الكاتب. (نور سوريّة).

المصادر: